غسان كنفاني في آخر لقاء إذاعي..

حياتنا الأدبية نخطو على قدم واحدة لان ساق النقد مصابه بشلل الاطفال

في آخر لقاء اذاعي له يحكي الرفيق غسان كنفاني عن مشكلات الادب والادب الفلسطيني والعربي.. عن دور الاضافات الصغيرة التي يطمح ان تبني جسرا يمتد فيصل باقدامنا الى الادب العالمي .. عن النقد والنقاد او الساق المشلولة لحياتنا الادبية .. عن شعر المقاومه .. الحقيقي والزائف .. واخيرا عن تجربته الخاصة كواحد من اكثر الادباء العرب قدرة على الاضافة كما ونوعا

س ـ كفلسطيني ومن خلال رواياتك التي كتبتها عن النكبة وعن الانسان الفلسطيني هل قلت ما في نفسك وصورت القضية فعلا :

ج ـ لا اتصور ان اي كاتب فلسطيني يستطيع ان يصور القضية ومن جهة اخرى لا اتصور ان اي اديب يستطيع ان يقول ما في نفسه ، دائما يوجد صعوبة لنقل ما في نفس الانسان باي شكل من اشكال التعبير اولا لان ما في نفس الانسان يزداد لا ينقص وثانيا لان ادوات التعبير مثل الرواية ، الشعر ، الرسم ، النحت ، الموسيقى او الغناء هي محدودة الامكانية ، فاذا نقلنا هذه الحقيقة كلها الى موضوع الادب الفلسطيني بالذات فوجدنا الامر اكثر تعقيدا لان القضية الفلسطينية هي واحدة من اغنى القضايا الانسانية واكثرها سرعة في التطور واكثرها نموا واكثرها تعقيدا وبالتالي لا اعتقد انه يمكن القول فعلا ان هناك ادب فلسطيني عبر عن هذه القضية الانسانية المعقدة الا بعد فترة طويلة من الزمن ، الصحيح انني بكتاباتي الفلسطينية حاولت ان اعبر عن لحظات في حياة الفلسطيني وحياة القضية الفلسطينية ، موضوع نجاحي في ذلك او عدم نجاحي يتوقف على تقييم النقاد في المستقبل والان ولكن اعتقد بان نقطة من البحر الذي قام به مجموعة من الادباء الفلسطينيين لا يمكن ان توصف باي شكل من الاشكال بانها كافية او بانها نجحت في التعبير عن ذلك العمق غير المحدود وتلك الانسانية الواسعة الافاق للقضية الفلسطينية .

س ـ يقال انك من اوائل او من رواد الرواية الحديثة ، في الاسلوب الروائي الجديد ، بمن تأثرت وما هي احسن اقرب رواياتك الى نفسك :

ج ـ اولا اشكرك على نقل القول على الاقل ، ولكن انا اعتقد ان تجاربنا نحن ككتاب عرب تتعرض دائما لتطور سريع جدا لان الثغرة القائمة بين ادباءنا الذين نستطيع ان نكتب وبين الشوط الذي قطعه الادب العالمي هي لثغرة واسعة جدا فاي واحد فينا يقوم بخطوة ضمن هذه الثغرة لبناء ذلك الجسر امام ادب العصر وامام الادب العربي الذي هو في نهاية المطاف خصوصا من ناحية الرواية ـ وليس اطلاقا من ناحية الشعر بل من ناحية الرواية فقط هو متخلف ـ اي خطوة يقوم فيها الانسان تعبر خطوه الى حد ما ايجابية .. انا تأثرت بالدرجة الاولى بالكتاب الاساتذة الكتاب الروس ، دستيوفسكي ، تشيخوف ، غوغول الذي اعتقد انهم المنبع ، وتأثرت بالكتاب الامريكيين ، ارسكين كالدويل مثلا ـ ولو انه مغمور لكني معجب به جدا ـ وهمنغواي وخصوصا فولكنر ،

بالنسبة لفولكنر انا معجب جدا برواية الصخب والعنف ـ وكثير من النقاد يقولون ان روايتي ، ما يبقى لكم ، هي امتداد لهذا الاعجاب بالصخب والعنف وانا اعتقد ان هذا صحيح انا متأثر جدا بفوكنر بالرغم من هذه الرواية ليست تأثر ميكانيكي ، ما يبقى لكم ليست تأثر ميكانيكي بفوكنر بل هي محاولة للاستفادة من الادوات الجمالية والانجازات الفنية بالشكل التي حققها فوكنر لتطوير الادب العربي .

اريد ان اسطرد بهذه النقطة .لان القسم الاخير من سؤالك حول احب رواياتي الى نفسي .

في الواقع روايه ما يبقى لكم هي قفزة من ناحية الشكل ، ولكنها تأثرت بنفس الوقت بتساؤلات بالنسبة لي « لمن اكتب انا ؟ » هذه الرواية فلة يستطيعون من بين قرائنا العرب ان يفهموها فهل انا اكتب من اجل ان يكتب احد النقاد في مجلة ما انني اكتب رواية جيدة ام انا اكتب من اجل ان اصل الى الناس وان تكون هذه الرواية شكل من اشكال الثقافة الموجودة في مجتمعنا ، والتي من واجب المثقف ان يتعامل فيها مع الناس ، لذلك هذه الرواية مهمة في حياتي الادبية ، انا لا اقول انني معجب بها بالدرجة الاولى ، لكني اقول انها مهمة في حياتي الادبية لانها طرحت علي هذا السؤال وهذا السؤال اجبت عنه برواتين صدرت بعد ما بقي لكم « عائد الى حيفا » و « ام سعد » والتي نهجت فيها نحو البسيط على اعتبار انني يهمني قبل تحقيق انجازات في الشكل يهمني الوصول الى القارىء العربي ، ففي المرحلة التالية اذا استطعت ان اقول الاشياء العميقة ببساطة ، فاكون في الواقع راضي عن نطوري لانني اعتقد انه ليس بالضرورة ان تكون الاشياء العميقة معقدة وليس بالضرورة ان تكون الاشياء البسيطة ساذجة .. والانجاز الفني الحقيقي هو ان يستطيع الانسان ان يقول الشيء العميق ببساطة .

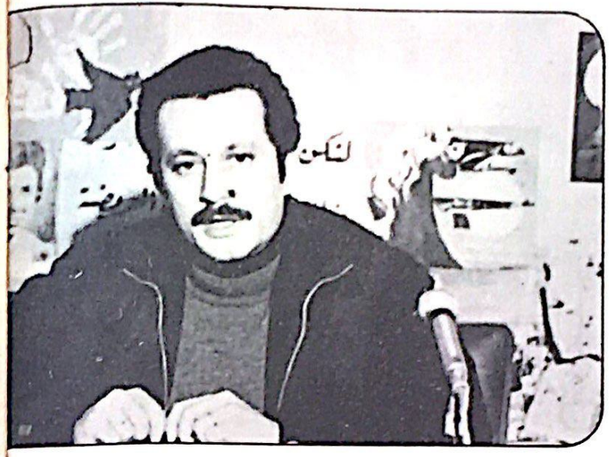

■ شاعر المقاومة ليس هو مهرج السلطان .. بل شاعر الجماهير

قبل ان نتحدث مع غسان كنفاني في الادب الفلسطيني وادب المقاومه بصوره خاصة وما دمنا صدر الحديث عن الرواية وعن النقد والنقاد كما تعلم ان هناك جدل وصراع وحوار دائم بين الكاتب او الشاعر وبين النقاد دائما الكتاب يتهمون النقاد بانهم ينقدون ليس على اساس نقدي سليم بل على اساس النظرة الشخصية ما رأي غسان كنفاني من خلال كتاباته وعلاقاته بالنقاد وانت كناقد ما رايك بنقادنا العرب .

بالواقع ليس هناك شيء بالادب العربي اسمه حركة نقدية ، بالمعنى العلمي الموجود هو خواطر على هامش العمل الفني يقوم بها مجموعة هواة كفاءاتهم التي تزيد عن كفاءة الاخرين هي انهم قراوا قليلا من الادب الغربي ، فاذا كتبنا رواية يقولون لنا انك تقلد فلان او اقرب من فلان او انك تطرق ابواب العالمية كانه يوجد باب تلك البوابة التي تؤدي الى العالمية ، في الواقع ليس عندنا نقاد بالمعنى الموجود بالحياة الثقافية بالغرب الاوروبي او الشرق الاشتراكي ليس هناك نقد ممنهج ، ليس هناك نقد مقارن ـ ليس هناك نقد له جذور ، وكما قلت النقد عندنا ليس اكثر من انطباعات ، لذلك حياتنا الفنية نستطيع ان نقول انها تخطو على قدم واحدة على ساق واحدة لان ساق النقد مصابه بشلل الاطفال وغير قادرة على موازاة العمل الادبي ، لذلك نحن نرى ان الدراسات النقدية التي اجراها المستشرقون ـ مع الاسف الشديد ـ هي بشكل ما افضل من عدد كبير من الدراسات النقدية التي اجراها النقاد العرب طبعا لا اريد ان اعمم ، هناك عدد من النقاد العرب يحاول ان يكون منهجيا ، اما الصحيح اكثر فهو تغلب العلاقات الشخصية على حياتنا الادبية ليس فقط النقد ، بمعنى قد نجد في مجلة ادبية قصيدة لشخص ليست لديه كفاءة شعرية، انما كفاءته الوحيدة هي انه صديق لرئيس التحرير مقابيسنا لا تزال في كثير من حياتنا الادبية والسياسية طبعا هي مقابيس شخصية ، لذلك انا غير مقتنع بان الحركة النقدية العربية هي حركة بناءة ، ما عدا بعض ظواهر قليلة جدا بارزة في مصر بالدرجة الاولى وفي لبنان بالدرجة الثانية ، هناك عدد من النقاد لديهم منهج معين لا استطيع ان اقول انهم متفوقون جدا لكنهم افضل الموجود ، و بالطبع ان حياتنا الادبية هي ليست سليمة مئة بالمئة ، ونحن على ابواب مخاض ، ومن المتوقع في حالة تطور هذا الادب ان يتطور ذلك النقد ايضا .

س ـ الادب وادب المقاومة في فلسطين .. غسان كنفاني كان من الاوائل الذين اشاروا وركزوا على ادب المقاومة في فلسطين ولفتوا الانظار الى شعر المقاومة ، وايضا قدمتم في كتابكم عن ادب المقاومة نماذج كثيرة عن ادب المقاومة في فلسطين ، ما رأيك في ادب المقاومة وفي هذه الفترة بالذات ؟

ـ ادب المقاومة قبل ٥ حزيران كان صوتا فلسطينيا من اعماق الاسر الاسرائيلي شجاعا ونظيفا وتقدميا له افق متفائل وكفاءة فنية ، وهناك اسباب عديدة دفعت العرب لتقييم هذا الادب باكثر من حجمه الحقيقي، لان هناك قضية سياسية وقضية الكرامة القومية ، ثم قضية الجهل ، فقد فوجيء العرب بانه يوجد تحت

من إنتاج الرفاق

غيفارا ... والقلق البارد

صاحب الشاهر

توقظ في غزة كل مخاضات الارض
ترحل ...
نرحل نحن
نتذكر .. ثم نعود الى البدء
لكنك لا تبدأ معنا
حينئذ نصحو ... نتساءل عن
غيبتك الكبرى
نسقط دمعا نفهمه
اهو الدمع يعيننا
ام دجلة شقت في اعيننا المجرى
غيفارا ... فلئن قطعوا يمناك الان
ليس غريبا
ان يلبس صوتك ماء النهر رداء
وتهاجر ذاكرة العربي غدا
تبحث في طلع النخل عن الانسان
ليس غريبا
ان « يولد طفل في عينيك »
يتجاوز زمن الاسلحة الخشبية
يكبر ....
ليعانق في منحدرات القلق البارد
« غسان »
غيفارا ... رئة اخرى تتنفس
احلام الفقراء
غيفارا ... اغنية حمراء
... صوت اخر يملؤنا
يا ابناء المحرومين اجيبوا
اني انتظر العالم ...
... والعالم خارطة خرساء

ذلك الحمل الاسرائيلي من بصرخ ، وفي الوقت الذي آن فيه الاوان لتقييم ذلك الادب تقييما علميا موضوعيا لمحاولة الاستفادة منه جاءت هزيمة حزيران لتعطي هذا الادب قيمة مضافة، وطعما الضجيج الذي جاء بعد حزيران ورافق ذلك الادب بحيث اصبح جميعا ونعرف كم كان حجمه كبيرا ، وخلال فترة حزيران نشأ نوع اخر من ادب المقاومة وقطن على ادب المقاومة في الارض المحتلة ، هو شعر او نثر معظم ادبائنا وشعرائنا في الاربع سنوات الماضية من النادر ان تفتح اي مجلة او جريدة او اذاعة دون ان تسمع او تقرأ شعرا عن العمل الفدائي والقضية الفلسطينية ، والصحيح ايضا ان هذه الفورة كانت نوعا من الانفعال السطحي اكثر مما كانت هي موقف من الحياة ، الفرق بين ادب المقاومة الذي كان يقوله شعراء المقاومة في فلسطين « دروبش ، القاسم وزياد » هو ان هذا الادب كان جزءا من نظرة هؤلاء الى الحياة وجزءا من ولاء ايديولوجي ولاء معاندي من تصور معين لحركة التاريخ ، ولم تكن نوع من الانفعال يبطوله دون فهم جذورها ، لذلك سنلاحظ فورا انه حين خفت حدة ظاهرة المقاومة وعادت الى حجمها الطبيعي بعد ذلك الانفجار العاطفي اكتشف فجاة ان هؤلاء الشعراء الذين سموا انفسهم شعراء مقاومة وقالوا شعر مقاومة ١٩٦٧ حمروا فجاة واصبحوا بنوع من الليلك والسبب ان موقفهم من المقاومة لم تكن جزءا من نظرتهم للحياة جزءا من نفسرهم للتاريخ ، كان نوع من الانفعال السطحي ، نستطيع ان نذكر نزار قباني اذا كنا نريد ان نذكر الاسماء ، وعشرات الشعراء الاصغر من نزار ، حيث كان الموضوع بالنسبة لهم تتبع الموضة وما دامت الموضة موضة مقاومة فلنقفي للمقاومة ، اما حين جرحت المقاومة وركعت نجدهم يصمتون فجاة ، لماذا لانهم يفتقرون الى النظرة التاريخية العميقة التي تعرف ان كبوة المقاومة هي تراجع مرحلي هي جزء من حركة التاريخ فليس هناك انتصار نتجه بطريق مستقيم لذلك جعلوا هم وصمودا وهذا يدل على انعدام الاصالة ، شاعر المقاومة هو الشاعر الذي يغني انتصارات جماهيره وشعبه كما فيهم انكساراته وكما يرى داخل هذه الانكسارات ، وفي رحم هذه الانكسارات بذرة الانتصار القادم ، هذا هو شاعر المقاومه ، شاعر المقاومة ليس هو مهرج السلطان هو شاعر الجماهير التي يفهمها ويعرفها لذلك اعتقد ان شعر المقاومة خارج فلسطين هو حالة رومانتيكيه لا جذور عميقة لها الا في بعض الحالات ، اخص بالذكر احمد دحبور الشاعر الذي يغني فتح .. وعدد اخر من الشعراء الذي يمكن للانسان تسميتهم ولكن اسم احمد دحبور حضرني الان لانني اعتقد انه ـ احمد دحبور ـ وعد طليعي جدا .

س ـ ماهي اخر اعمال غسان كنفاني او ما سيصدر قريبا ؟

ـ يهتمني الان العمل الصحفي والعمل السياسي ، ولا اجد وقت للكتابة كنت قد بدات بكتابة رواية حول لحظة حزيران .. كيف فهم الفلسطيني لحظة حزيران ، وطبعا كان من المفترض ان تظهر هذه الرواية قبل التطورات الجديدة التي حصلت لحركة المقاومة ، كان فيها نوع من النبؤ بما سيحصل ، الان ستبدو ساذجة او مجرد نسخ ،كانت هذه الرواية تريد ان تقول صدمة حزيران ايقظت في الفلسطيني جميع حواسه .. استنفرته ، ولكن هذا الاستنفار الهائل لجميع حواسه استنفار مؤقت، سيعود ويضمر الى حجمه الطبيعي ، اذا كان يجب ان يقوم على اسس راسخة بالضبط مثل الام التي تجد صخرة متدحرجة تجاه ابنها ، تستنفر حواسها جميعا وتكتسب قدرة غير عادية على صد هذه الصخرة ، ولكن هذه ليست قوتها .. اذ ستضمر هذه القوة وتعود للام قوتها العادية ، اذ ان قوتها الحقيقية هي توعية ذاتها وهي الاحتياط من هذه الصخرة ليوم اخر ، عدم السماح لان تلدغ من الحجر مرتين ، اي نوع من الوعي السياسي زائد التمرين العضلي الذي اقصد به التمرين القتالي .. هذا ما ارادت الرواية ان تقوله .. الان اعتقد اننا تعلمنا هذا الدرس فلا داعي لتكراره ولا ادري كيف ستتطور هذه الرواية ■■

قصائد لأطفال السودان

للشاعر السوداني عبد العظيم عبد القيوم

١ ـ قصيدة الصحو

اغمض عيني ناعما
ولا انام
ولست ادري باني ..
اراك في الاحلام ،
لانك الصحو الذي
يغمرني ويحويني

الليل احمر .. الصبح احمر

٢ ـ قصيدة البصر

قمر احمر
بتلالا فوق رمال حمراء
فوق الرمل الاحمر ازهار
قانية الحمره
بين الازهار الحمراء
شاهد قبر منقوش بالكلمات الحمراء .

*

سطع البرق الاحمر
لهب النيران الحمراء
بتوهج ملء عيون البنت السوداء
ذات الفستان الاحمر والاحلام الحمراء

٣ ـ قصيدة السمع

اني اسمع في ملكوت البعد نحاياكم
استنشق دفء وصاياكم
اسمع ايقاع خطاكم ..
نحو الشمس الحمراء .

٤ ـ الشمس الحمراء .. تشرق في موعدها

الطين الاسود مغمور بالماء ،
ام هذا دمعك يا وطني !
النيل الابيض يسكت دمعه
في النيل الازرق ،
ام جرح الخرطوم المفجوعه
يسكب لوعتها عبر الصحراء !

*

الطين الاسود يا وطني
مغمور بدماء الشهداء
البذرة تنمو تحت الارض
الشمس الحمراء .. تشرق في موعدها .

٥ ـ قصيدة لعبدالخالق محجوب

صرعتنا فجيعة فقدك
واهتزت الارض تحت الوطن
ثم جاء دوي من الافق
شاهد جيلي وجيلك
شلال صوتك
ينمش بطن المراعي
ويشق قناة الى كل حقل
ويوقد نارا لدى كل موضع نار قديم
ويغسل وجه المدينه بالزهور والانتصار .

٦ ـ نخلة الميلاد

ارتكزت حبيبتي على شعاع الشمس
نهضت
واصلحت ليابها السوداء
حول الجسد النحيل
ترنحت لخطوتين ثم اعتدلت
زارت قبور عاشقيها الشهداء
ثم اغتسلت
بدمهم
ودمعها
والتصقت بنخلة الميلاد ـ صبوة ـ
تهز جدعها .

٧ ـ قوس قزح

وقع الوادي
في حضن الجبل العاري

انثى تتارجح بين الرغبة والرهبه
تهلت خيل الترحال الغضبى
ماجت وديان الهجر
بصفرة عشب جافاه الغيم ،
وعانقه
موسم موت شاحب

*

اوتار القلب النبي
نغم مبهم
يضحك دون فرح
يبكي دون اسبه
لكني
حين ارى في العيد الشاحب
قوس قزح
الكر خيل الابداع الغضبى
واغني لرجال ونساء
صافحوا للشمس اغانيهم ■■